الفوضى الاجتماعية فى أوروبا

للأستاذ حسن مظهر

كثرة الفجر ... الخوف من الأمراض ... هلاك نحو ١٠ ملايين أوروبى جوعا
فى هذا الشتاء ... أطفال مشردون يتهددون السلام المقبل ... الانحلال العائلى
انتشار البغاء الخ ... الخ

ما أن وضعت الحرب أوزارها فى أوربا حتى عمتها موجة هائلة من الاضطراب أخذت تتزايد يوما عن يوم بسبب تدمير المدن والقرى ، ونقص الأغذية والأكسية ، وتكاثر عدد اللاجئين والمشردين وطالبى القوت والمأوى .

ويقول الصحفيون الذين زاروا أصقاع أوروبا المخربة إن هذه القارة تعانى فوضى داهمة لم يشهد لها التاريخ مثيلا منذ العصور الوسطى ، وان الحالة السيئة القائمة هناك خصوصا فى ألمانيا توجب على المسئولين فى العالم كله أن يتداركوها بحزم وسرعة ، والا استحالت كارثة كبرى تنتشر فيها المجاعات والأوبئة والجرائم ويذهب ضحاياها عشرات الملايين ! ...

وقد كان عدد المشردين الذين هاموا على وجوههم فى أوربا فى ظل الحكم النازى يبلغ نحو سبعة ملايين شريد من جميع الأوطان ، منهم الهولاندى والبلجيكى ، ومنهم الفرنسى والايطالى ، ومنهم الروسى والتشكى والبولونى ، ومنهم اليونانى والبلقانى . ولكن أكثرهم نزحوا إلى أوطانهم بعد وقف القتال وراحوا يطالبون بالأطعمة والكساء والمسكن . وبقى فى ألمانيا منهم بحسب آخر احصاء للجنة الحلفاء التى تتولى أمورهم ٢١٠٩,٠٠٠ شخص يعيش منهم ١,٩١٢,٨٨٣ فى معسكرات بينما يضرب الباقون فى الأرض على غير هدى.

يتحولون إلى أقوام من الغجر !

وقد حدث أخيرا أن هبطت على ألمانيا أفواج مشردة لا عداد لها من بولونيا وبلاد السوديت وتشيكوسلوفاكيا والنمسا هاربة من الحكم السوفيتى الذى يضطهد تلك البلاد . وألقت هذه الأفواج عصا ترحالها فى بافاريا ونورنبرج وورتمبرج ، كما انحدرت إلى برلين والمقاطعات التى تحيط بها كبوميرانيا ومكلنبرج وبراندبرج ، فزادت الطين بلة ، وهؤلاء الهائمون على وجوههم الذين التهمت الحرب آمالهم وعائلاتهم وشردتهم محطمى الأعصاب

يؤلفون مع زملائهم لألمان أقواما عجيبة من الفجر الرحل ، وهم يتجولون فى الطرقات المهدمة ويجوسون الخرائب القريبة من المعسكرات يفتشون بين القمامات وعلب الصفيح الفارغة عما يسكون به الرمق . حتى إذا ما جن الليل عليهم نصبوا خيامهم الممزقة المهلهلة وأشعلوا النار فى الأحطاب يستدفئون بها ، ثم ينامون غير عابئين بما يخبئه القدر فى قابل أيامهم !

١٣ مليونا لا مأوى لهم !

ويبلغ اليوم عدد الألمانيين الذين لا مأوى لهم ١٣ مليونا موزعين على مناطق الحلفاء المختلفة. يضاف إليهم بضعة ملايين أخرى من الهائمين فى كل مكان لا يعرفون لهم أرضا ولا مقاما . . وهؤلاء جميعا يستهدفون لشر أنواع الأمراض . بسبب فتات الأطعمة التى يلتقطونها من القمامات والمعرضة للبكروبات والذباب مما قد ينشأ عنه انتشار أمراض وبيلة قد تجتاح أوروبا كلها .

نقص التغذية :

وقد أحصى مقدار الطعام الذى يقدم للشخص الألمانى فى اليوم فاذا به لا يتجاوز "ألف سعر" وهى وحدة حرارية لا تكفى الانسان للحياة وتتهدده بالموت . لأن الانسان يحتاج فى اليوم إلى ٣٥٠٠ سعر وهو ما تقدمه السلطات الأمريكية لجنودها . وقد سبق أن قدمت بريطانيا لجنودها فى حالات سيئة ألفى سعر وكان ذلك عملا منتقدا منها ما لبثت أن تداركته إبقاء على حياة الجنود .

ومن هنا يبدى المطلعون على أسرار الأمور قلقهم من الخطر الذى تستهدف له ألمانيا وأوروبا بسبب نقص التغذية . وقد صرح كولونيل أميركى من المراقبين بأن قلة الغذاء ستتعاون مع البرد القارص فى هذا الشتاء على إحداث كارثة يموت فيها ما بين خمسة ملايين وعشرة ملايين شخص فى ألمانيا وحدها . وسيزداد هذا التقدير ازديادا كبيرا ما لم تتخذ تدابير حاسمة عاجلة .

وكانت أمريكا قد أرسلت إلى أوربا فى خلال تسعة شهور عقب اعلان الهدنة فى الحرب العالمية الماضية أربعة ملايين طن من الأغذية . فأطعم بها ستة عشر مليون طفل أوربى . ولكن فى هذه الحرب لم ترسل أمريكا إلى اليوم غير ١٢٠,٠٠٠ طن وهى كمية قليلة للغاية بالنسبة لزيادة عدد الجائعين فى هذه الحرب عن الحرب الماضية ، وبالنسبة لفشل محصول القمح فى ألمانيا . وتحتاج أوربا عاجلا إلى كمية من الغذاء لا يقل مقدارها عن ثمانية ملايين من الأطنان !

الأطفال المشردون !

وما يستلفت النظر أن السواد الأعظم من المشردين والجائعين فى ألمانيا ودول أوربا هم من الأطفال . و إذا قلنا الأطفال فانما نعنى عدة أوربا ومستقبلها وأسباب سلامها . فان هؤلاء الصغار سينشأون ضعافا هزيلى الأجسام ، وسيشبون على حياة اجتماعية قاسية تنكرها المدنية ، حياة كلها تعاسة وتمرد و بغضاء واجرام . فكيف تكون حال أوربا وحال السلام فى المستقبل وهذه حال أطفالها الذين يعدون بالملايين ؟ ؟

مشكلات ثلاث :

و يعترض العلاج ثلاث مشكلات هى : المشكلة رقم "١" الخاصة بالنقل الداخلى فان هناك صعوبات تقوم فى وجه التموين فى هذه الأيام بسبب قلة وسائل النقل وخراب الطرق وتدمير الخطوط الحديدية . . . والمشكلة رقم ٢ وتتعلق بقلة الوقود اللازم لتدفئة وتسيير حركة النقل كما ينبغى و إعداد الأطعمة . . . أما المشكلة الثالثة فهى تدبير "الطعام" الكافى لحفظ حياة الناس حتى يتم استقرار العمران .

العاطلون . . .

وتلوح خلف هذه المشاكل الثلاث مشكلة لا يخفى الخلفاء خطورتها ، وهى تضخم عدد العاطلين فى الدول الأوروبية جميعا خصوصا فى ايطاليا وفرنسا وأمم شرق أوربا والبلقان . وهذا التعطل المستفحل نتيجة تلازم كل حرب بعد عودة اللاجئين والأسرى وتسريح الجيوش ، وتدمير المصانع ، وخراب المزارع وما اليه . . . ولكن مما يزيد هذا الأمر تعقيدا وخطورة أن أسباب التعمير وسبل تشغيل الأيدى العاطلة غير متيسرة الآن على نطاق واسع . وكل تأخير فى توفير الأعمال التى تكفل الحياة لهؤلاء العاطلين مع عائلاتهم يؤدى الى عواقب اجتماعية لا يقلل العارفون من شأنها . وقد بدأت هذه العواقب تظهر فى شكل ما أسموه " الموجة الحمراء " و بمعنى آخر الموجة الاشتراكية التى شجعتها روسيا فى شرق أوربا والبلقان ، وتشجعها فى ايطاليا وفرنسا و بلجيكا وأسبانيا حيث يوجد فى كل من هذه البلاد حزب كبير يستند الى جماعات تطالب بالاصلاح الاجتماعى و بالعمل الخ.

الانحلال العائلى :

. وقد أثمرت الحرب حالة اجتماعية شاذة لم تكن مألوفة فى أوروبا . وهى تختص بالعائلة والنسل. فقد تهدمت ملايين العائلات فى كل مكان بموت عائليها و بتشريد أفرادها. وارتفع عدد الأرامل ارتفاعا عجيبا . وكثرت النساء العجائز اللواتى القى القدر على اكتافهن الضعيفة عبء الاشراف على حطام اسراتهن المكون من أطفال وفتيات صغار . . .

و بين هذا وذاك انفجر البغاء، فاصبح عملا لا مسئولية عليه ولا معاب. وانتشرت الأمراض المتسببة عن هذا العمل الأليم حتى بلغت نسبتها فى بعض دول شرق أوروبا ٤٠ فى المائة !

وقد كانت المانيا والدول الأوروبية تجعل للزواج قيودا وروابط ، ولكن انحلت هذه الروابط بوحشية الحرب وسبى النازيون الفتيات الأوروبيات والروسيات . وأصبحت رابطة الزواج يعبر عنها اليوم فى المانيا بالتآخى مع جنود الحلفاء . وكان النازيون يعتبرونها فى خلال الحرب نوعا من ترفيه جنودهم مع الحسان . .

وقد انتجت هذه الفوضى الجنسية عشرات الآلاف من الأطفال غير الشرعيين و يبدو ذلك على أشده فى فرنسا حيث أخذت وزارة الشئون الاجتماعية تنظر فى أمر هؤلاء الأطفال وكيف توجد العمل لأمهاتهم الفرنسيات المنكودات الحظ .

وهكذا يجابه الحلفاء فى أوروبا مشاكل اجتماعية بالغة الأهمية تزيد فى خطرها على المشاكل السياسية . وإن لم يحزموا الأمر على علاجها علاجا فعالا سريعا ستنتهى إلى بغائع وتطورات لا يعلم مداها إلا الله .

لطف الله بأوروبا فى اضطرابها وخرابها !

حسن مظهر